محاضرة رقم 04 مناهج البحث العلمي

أولا/ تعريف المنهج العلمي:

يُمكن تعريف مناهج البحث العلمي على أنها جملة من الخطوات النظامية، والتي يمكن الاعتماد عليها لدراسة إحدى المعضلات العلمية، والتوصل لمعارف جديدة.

ويعرف المنهج العلمي بأنه طريقة وأسلوب اختيار وانتقاء وتنظيم واستخدام أدوات وعمليات وإجراءات البحث، بما يمكّن الباحث من جمع الحقائق وتحليلها والوصول إلى فهم وتفسير الظواهر والمشكلات التي يدرسها بأكبر دقة وموضوعية ممكنة، بحيث تختلف تلك الطرائق والأساليب بحسب اختلاف طبيعة المشكلات والموضوعات المدروسة، مما يشكل عدة مناهج علمية.

ثانيا/ الخصائص العامة لمناهج البحث العلمي:

- طريقة التفكير والعمل المنظمة التي تقوم على الملاحظة والحقائق العلمية وتشتمل على مجموعة من المراحل المتسلسلة المترابطة.
- الموضوعية والبعد عن التحيز والميول الشخصية.
- الديناميكية والمرونة بمعنى قابليتها للتعديل والتطوير من وقت لآخر نظرا للتقدم الذي يطرأ على العلوم المختلفة.
- إمكانية التثبت من نتائج البحث العلمي في أي وقت وباستخدام أساليب ومناهج علمية جديدة.
- التعميم، حيث يمكن تعميم نتائج البحوث العلمية ويستفاد منها في دراسة ظواهر أخرى مشابهة.
- القدرة على التنبؤ، فأساليب ومناهج البحث العلمي قادرة على وضع تصور لما يمكن أن تكون عليه الظواهر المدروسة في المستقبل.

ثالثا/ تصنيفات مناهج البحث العلمي:

هناك اختلاف كبير بين الباحثين والمفكرين في تصنيف وتمييز مناهج البحث العلمي، ويعود ذلك الاختلاف إلى التباين في تحديد طبيعة ومفهوم المنهج، وإلى تعدد التوجهات الفكرية والإيديولوجية للباحثين، واختلاف وجهات نظرهم في كيفية تصنيف وتمييز هذه المناهج، إضافة إلى اختلاف أسس ومعايير التصنيف ذاتها، كما تختلف بحسب اختلاف مجالات وطبيعة العلوم المستخدِمة لهذه المناهج. ومن التصنيفات المعتمدة من الباحثين التصنيف الآتي:

1- المنهج التاريخي:

أ- **تعريف المنهج التاريخي:** هو المنهج الذي يهتم بدراسة الظواهر والوقائع في سياقها التاريخي، من خلال دراسة نشأة الظاهرة وتطورها والعوامل المساهمة في ذلك، وتحليل ماضي الظواهر من أجل تفسير الوضع القائم لها في الحاضر والتعرف على اتجاهاتها المستقبلية.

ب- خصائص المنهج التاريخي:

- يتعلق تطبيق المنهج التاريخي بدراسة ظواهر في فترات زمنية ماضية، أي أحداث لم يعايشها الباحثون فبالتالي لا تخضع إلى أحكام الحس والتجربة.
- نظرا لاهتمام المنهج التاريخي بدراسة ظواهر ماضية، فإنه يعتمد على بيانات وحقائق تاريخية، يمكن الحصول عليها من خلال تحليل الوثائق والمستندات وآثار معالم وشهادات موثوق بها.
- يحتاج الباحث إلى تحري وتحليل مدى مصداقية وموضوعية المصادر والوثائق المعتمد عليها في البحث، لأن مصداقية وموضوعية نتائج البحث هنا مرتبطة بشكل أساسي بدقة ومصداقية الحقائق المتضمنة في المصادر التاريخية.
- يقوم المنهج التاريخي على فرضية وجود علاقة سببية بين الماضي والحاضر، واتجاهات الأحداث والظواهر في المستقبل.

ج- نقد المعلومات في البحث التاريخي:

يقوم المنهج التاريخي على دراسة الأحداث والوقائع التاريخية في فترات زمنية ماضية، لهذا فإنه يعتمد على دراسة وتحليل الوثائق التي يتعين على الباحث نقدها وتمحيصها وتحري مدى موضوعيتها ومصداقيتها، حيث يوجد أسلوبين متكاملين في تحقيق هذا الغرض وهما:

- **النقد الخارجي للمصادر والوثائق:** ويهدف إلى تحديد مصداقية وأصالة المصدر، أي فيما إن كانت الوثيقة أصلية أو مزيفة أو شكلا مختلفا عن الوثيقة الأصلية، ويمكن الاعتماد على الأسئلة التالية في تحري موثوقية وأصالة الوثيقة:

- من كتب الوثيقة؟
- متى وأين كتبت؟
- ما هو القصد من كتابتها؟

- **النقد الداخلي للمصادر والوثائق:** ويركز البحث والتحري هنا على موضوع الوثيقة ومحتوياتها من المعلومات والحقائق التاريخية، إذ يمكن الاعتماد على الأسئلة التالية أثناء تحري ونقد مضمون الوثيقة:

- هل المعلومات والحقائق المتضمنة في الوثيقة دقيقة وموضوعية؟
- هل الشهود على درجة من الثقة؟ من حيث القرب الزماني والمكاني من الأحداث.
- هل النصوص وطريقة التعبير مناسبة؟
- هل الحقائق والمعلومات واقعية وتتناسب مع الظروف والأحداث السائدة في تلك الفترة؟

د- خطوات تطبيق المنهج التاريخي:

- تحديد الظاهرة أو المشكلة التي ستتم دراستها
- تحديد الفترة التاريخية التي سيتم تتبع الظاهرة خلالها
- تحديد ودراسة الظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة.
- جمع الحقائق والبيانات حول الفترة التاريخية والتحقق من مصداقيتها وموضوعيتها
- دراسة وتحليل العلاقات السببية بين ظهور وتطور الظاهرة، وما يرتبط بها من تأثيرات ونتائج، بما يساعد على تفسير الظاهرة تاريخيا وحاضرا وتحديد اتجاهاتها مستقبلا.

2- **المنهج الوصفي**:

- هو طريقة لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة للمشكلة، ويتم استخدام ذلك في تحديد نتائج البحث
- يستخدم المنهج الوصفي في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر، من حيث خصائصها، أشكالها، علاقاتها، والعوامل المؤثرة فيها، حيث يقوم المنهج الوصفي على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات، من أجل التعرف على خصائص الظاهرة أو الحدث، والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره.

أ- خطوات البحث باستخدام المنهج الوصفي:

- تحديد المشكلة وصياغتها.
- وضع الفروض وتوضيح الأسس التي بنيت عليها.

- تحديد البيانات والمعلومات التي يجب جمعها لأغراض البحث، وكذلك تحديد طرائق وأساليب جمعها.
- جمع البيانات والمعلومات من المصادر المختلفة وبالأساليب التي تم تحديدها.
- تنظيم البيانات والمعلومات وتحليلها وتفسيرها
- ضبط النتائج والاستنتاجات وصياغتها
- وضع التوصيات المناسبة

ب- أساليب المنهج الوصفي: يشتمل المنهج الوصفي على مجموعة من أساليب البحث العلمي أهمها ما يلي:

- **أسلوب المسح:** يتمثل هذا الأسلوب في جمع بيانات ومعلومات عن متغيرات قليلة لعدد كبير من الأفراد عن طريق الاستبيان كأداة أساسية، وقد يكون مسحا شاملا أو بطريق العينة، وفي أغلب الأحيان تستخدم فيه عينات كبيرة من أجل مساعدة الباحث في الحصول على نتائج دقيقة، وبنسب خطأ قليلة، وبالتالي تمكينه من تعميم نتائجه على مجتمع الدراسة.
- **أسلوب دراسة الحالة:** يقوم هذا الأسلوب على جمع بيانات كثيرة وشاملة عن حالة فردية واحدة أو عدد محدود من الحالات، وذلك بهدف الوصول إلى فهم أعمق للظاهرة المدروسة، وما يشبهها من ظواهر، حيث تجمع البيانات عن الوضع الحالي للحالة المدروسة، وكذلك عن ماضيها، وعلاقاتها من أجل فهم أعمق وأفضل للمجتمع الذي تمثله.
- **خطوات أسلوب دراسة الحالة:**
- تحديد أهداف الدراسة، بما في ذلك تحديد موضوع الدراسة أو الظاهرة المدروسة، وكذا تحديد وحدة الدراسة وخصائصها.
- إعداد مخطط البحث أو الدراسة، وهذه الخطوة ضرورية لأنها تساعد الباحث في تحديد مساره واتجاه سيره، حيث تمكنه من تحديد نوع البيانات والمعلومات المطلوبة والطرائق المناسبة لجمعها وأساليب تحليلها.
- جمع المعلومات من مصادرها بالوسائل المختلفة. أما أدوات جمع البيانات في دراسة الحالة فهي: الملاحظة المتعمقة، المقابلات الشخصية، الوثائق والسجلات المختلفة
- تنظيم وعرض وتحليل البيانات بالأساليب التي يرى الباحث أنها تخدم أهداف بحثه.
- النتائج والتوصيات
- **ايجابيات وسلبيات أسلوب دراسة الحالة:** من ايجابيات أسلوب دراسة الحالة:

- توفير معلومات تفصيلية وشاملة ومتعمقة عن الظاهرة المدروسة.
- يساعد في تكوين واشتقاق فرضيات جديدة
- يمكن الوصول إلى نتائج دقيقة وتفصيلية حول وضع الظاهرة المدروسة مقارنة بأساليب ومناهج أخرى.

أما سلبيات هذا الأسلوب فيمكن حصرها في:

- صعوبة تعميم نتائج الدراسة على حالات أخرى مشابهة للظاهرة المدروسة خصوصا إذا كانت العينة غير ممثلة لمجتمع الدراسة.
- تحيز الباحث في بعض الأحيان عند تحليل وتفسير نتائج الظاهرة المدروسة، الأمر الذي يجعل الباحث عنصرا غير محايد، وبالتالي تبتعد النتائج عن الموضوعية.
- **أسلوب تحليل المحتوى:** يقوم هذا الأسلوب على وصف منظم ودقيق لمحتوى نصوص مكتوبة أو مسموعة من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها وتعريف مجتمع الدراسة الذي سيتم اختيار الحالات الخاصة منه لدراسة مضمونها وتحليله. وعادة يتم تحليل المضمون من خلال الإجابة على أسئلة معينة ومحددة يتم صياغتها مسبقا. بحيث تساعد الإجابة على هذه الأسئلة في وصف وتصنيف نحتوى المادة المدروسة بشكل يساعد على إظهار العلاقات بين أجزاء ومواضيع النص. ويشترط في مثل هذا الأسلوب عدم تحيز الباحث عند اختيار عينة الدراسة المراد تحليل مضمونها، بحيث يجب أن تكون ممثلة لمجتمع الدراسة.

3- المنهج التجريبي:

يتميز المنهج التجريبي عن غيره من المناهج بدور الباحث الذي لا يقتصر فقط على وصف الوضع الراهن للحدث أو الظاهرة، بل يتعداه إلى تدخل واضح ومقصود بهدف إعادة تشكيل واقع الظاهرة من خلال استخدام إجراءات أو إحداث تغييرات معينة، ومن ثمة ملاحظة النتائج بدقة وتحليلها وتفسيرها. والمنهج التجريبي بهذا المعنى يشمل استقصاء العلاقات السببية بين المتغيرات المسؤولة عن تشكيل الظاهرة والتأثير فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك بهدف التعرف على أثر ودور كل متغير من هذه المتغيرات في هذا المجال.

- **إجراء التجربة وتنفيذها:**

عند تطبيق المنهج التجريبي، لا بد من تحديد نوعين من المتغيرات بشكل دقيق وواضح وهما:

- **المتغير المستقل:** وهو العامل الذي يريد الباحث قياس مدى تأثيره في الظاهرة المدروسة، وعادة ما يعرف باسم المتغير أو العامل التجريبي.

- **المتغير التابع:** وهذا المتغير هو نتاج تأثير العامل المستقل في الظاهرة.

يقوم الباحث بصياغة فرضيته محاولا إيجاد العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع، ولكي يتمكن الباحث من اختبار وجود هذه العلاقة أو عدم وجودها، لا بد من استبعاد وضبط تأثير العوامل الأخرى على الظاهرة قيد الدراسة، كي يتيح المجال للعامل المستقل وحده بالتأثير على المتغير التابع.

يتميز المنهج التجريبي بأنه يسمح بتكرار التجربة في ظل نفس الظروف للتأكد من صحة النتائج، إضافة إلى دقة النتائج المتوصل إليها. أما الصعوبات التي تواجه الباحث أثناء تطبيق المنهج التجريبي فهي التحيز سواء من الباحث نفسه أو من الأشخاص الذين تجرى عليهم التجربة، صعوبة التحكم في جميع العوامل والمتغيرات التي تؤثر في الظاهرة.

4- **المنهج المقارن:** يقوم المنهج المقارن على إجراء المقارنة بين ظاهرتين أو حالتين بغرض كشف أوجه التشابه والاختلاف، كالمقارنة بين نظامين اقتصاديين، كما يمكن تطبيقه عند تحديد قوة وطبيعة الأثر لمتغير معين يتواجد في حالة معينة وغائب في حالة أخرى مثلا: إجراء مقارنة بين مؤسستين إحداهما تطبق نمط حديث في التسيير والأخرى لا تطبقه. ويطبق كذلك لدراسة أثر وجود متغير خلال فترة زمنية معينة وغيابه خلال فترة أخرى، حيث يتم لمقارنة بين نتائج حضور وغياب هذا المتغير، والفرق بينهما يعبر عن أثر غياب أو حضور هذا المتغير على اعتبار أن العوامل الأخرى ثابتة، مثل: مقارنة مبيعات مؤسسة بين فترتين إحداهما تطبق فيها سياسة تسويقية معينة وفي الأخرى لا تطبقها.